عبّاس الثاني خديوي مصر

للمتطلف موقف غير موقف الجرائد السياسية فاذا نظر الى الملوك والامراء ورجال السياسة عمومًا اعتبرهم من حيث اخلاقهم ونسبتهم الى العلوم والمعارف وما تنتظرهُ بلادهم منهم من هذا القبيل . ومن هذا الموقف ينظر الى سمو عباس الثاني خديوي مصر فيهنئ القطر المصري بان الله سبحانهُ قد منَّ عليهِ بامير ورث عن المرحوم والدهِ اجل مناقبهِ واكرم خلالهِ فقد اختلب المغفور لهُ قلوب رعيتهِ ومعارفهِ بدماثة اخلاقهِ ولين عريكتهِ واتضاع جانبهِ . وقد جاءتنا اخبار الديار الاوربية بوصف ما اشتهر عن الجناب العالي بين اقرانهِ الذين ربي بينهم واغتذى بلبان المعارف معهم فاذا تلك المناقب مناقبهُ وهاتيك الخلال الكريمة خلالهُ حتّى لقد اطبق التلامذة على محبتهِ لرقة جانبهِ ولين عريكتهِ فكانوا يوم التعزية والوداع بين باكٍ لمصابهِ وشاكٍ لفراقهِ . وقد اطنب اساتذتهُ في شهادة المدرسة التي سلموهُ اياها بالثناء على حسن تصرفهِ واستقامة مسلكهِ ورقة طباعهِ واجادوا في مدح براعتهِ واحرازهِ للمعارف والعلوم اقرنَ هذه الشهادة المبنيَّة على تمام المعرفة وطول الاختبار بشهادة الذين سعوهُ وعاشروهُ تعلم ان حكم الشهود طابق حكم علماء الطبائع والاخلاق في وراثة الولد لاخلاق الوالد وجاء في ما نحن بصددهِ مصداقًا لقول القائل

اذا مات منا سيّدٌ قام سيّدٌ تقولُ لما قال الكرامُ فعول

ثم زد على هذه الخلال الكريمة المزايا التي اكتسبها الجناب العالي بالتربية على الكمالات وتثقيف العقل وتهذيبهِ بالعلوم واللغات وترقية المدارك وتوسيع المعارف بالاسفار والسياحات وجلاء صدإ الوحشة بالمقابلات والزيارات . فانهُ رضع ثدي المعارف وربي بين اهل الفضل والعلم منذ نعومة اظفارهِ . ولم يكد يدرك سن التحصيل والاكتساب حتّى انشأ لهُ المرحوم والدهُ المدرسة العالية وجاءها بالمعلمين البارعين والمربين المجرّبين حتّى اذا غرست مبادئ العلوم في نفسهِ ارسلهُ الى مدرسة جنينا حيث مورد العلم عذب وماء التربية صاف زلال فشبَّ فيها وترعرع على الفضل والكمال وتحلى بالعلم وتجمّل باللغات . ثم نقلهُ منها الى مدرسة تريزا الملكيَّة في فينا وقد شيدت لتعليم اولاد الملوك والامراء وترشيحهم لسياسة العباد والملك على البلاد وسُنَّت لها القوانين الصارمة واقيمت عليها المراقبة المشدّدة حتّى يتعلم اولاد الملوك والامراء فيها الطاعة واعتبار ذوي الفضائل والحلوم ويجاهدوا اهواءهم عن عقولهم فلا يغرهم شرف المحتد ولا علو الحسب والنسب ويتربوا

على الجد والاجتهاد ويعرفوا حقوق الآخرين عليهم كما يعرفون حقوقهم على غيرهم ويلتزموا حدود الاعتدال في معاملة الرعيّة. وقد كان سمو الامير خاضعًا للقوانين طائعًا للاوامر والمراقبين ملازمًا لساعات الدروس محافظًا على نظام المدرسة مثل سائر التلامذة. وكان مع ذلك يدرس على اساتذة آخرين دروسًا يحتاج اليها عند استوائه على عرش الخديويّة ولا يستطيع تحصيلها في المدرسة الملكية ففضى الاعوام الطوال عاكفًا على الدرس مكبًّا على التحصيل مارسًا لآداب المدرسة ولم ينزل منزلاً خاصًّا به مستقلاً عن سائر التلامذة الاّ قبل مفارقته المدرسة بسنة. فراض عقله في رياض العلوم الادبية والعقلية والرياضية والطبيعية والتاريخية ونبغ في علم القانون فناق فيه الاقران واحرز من اللغات الانكليزيّة والنمسويّة والفرنسويّة غير العربية والتركية. وربّي احسن تربية وهذّب اجمل تهذيب ولم يكن حظ اولاد اعظم الملوك اسعد من حظه ولا نصيبه اعظم من نصيبه في ذلك

ولما كان العلم لا يتمّ بلا عمل وكان اختبار احوال العالم في الخارج بمثابة العمل المكمل لعلم المدارس فقد طاف سموّه بلاد النمسا والمانيا وانكلترا وروسيا وفرنسا وايطاليا وما يليها من الممالك الاوربية من اقصاء الجنوب الى اسوج ونروج في اقصاء الشمال وشاهد مشاهدها وتعهّد معاهدها وتنقد معالمها وضاف ملوكها واجتمع بامرائها وعرف عوائدها واصطلاحاتها وعلم اسباب تقدمها وارتقائها وقوتها واقتدارها وادرك كه عزة الملوك وحقيقة تمدن الممالك. والقي من اكرام سلاطينها وملوكها ما يعجز قلم البليغ عن وصفه ويشرح الفكر به صدر رعيته فنبصر الروس استعرض جيشه بحضرته ورئيس الجمهوريّة الفرنسويّة بالغ في اكرامه بما في طاقته وقس على ذلك ما لقيه في سائر الممالك

فالجناب العالي خديوي مصر الحالي جمع المناقب الرائقة الغريزيّة والمزايا الرائعة الاكتسابيّة فاكرم به وارثًا خلّفه فقيد مصر لحكم البلاد والرعيّة وقد وجدت فيه الرعية عزاء لمصابها وبلسمًا لجراحها فقابلته باحتفال لم يسبق له نظير وشارك الوطنيين في هذا الاحتفال جميعُ الاجانب في القطر المصري بل جميع الذين امكنهم الاشتراك فيه من بلاد النمسا الى شراي عابدين

وقد ابنّا في المقطم جميع المطالب السياسيّة والاجتماعية التي يُنتَظَر من سموه ان يقتفي خطوات المرحوم والده فيها. ونزيد الآن على ذلك ان البلاد لا ترتقي ارتقاء حقيقيًّا ما لم تنتشر فيها المدارس ويعمّ التعليم والتهذيب. وسموه قد تغذّى بالبان العلوم وعَلِمَ فوائدها ورأى نتائجها فنحنُ يُنتَظَر توسيع نطاقها وبسط رواقها وتقريب قاصيها وتعزيز اهليها فتعود

مصر كما كانت في سالف الاعصار دار العلم والعلماء وترتع الرعية في بحبوحة الأمن والهناء. ومما نخصهُ بالذكر في هذا المقام

اولاً ان المال الذي يُنفَق الآن على المعارف لا يكفي حاجة البلاد ولا بدَّ من ان يزاد من مال الحكومة او من مال الاوقاف او من الاثنين معًا . على ان الاهلين انفسهم قد زادت رغبتهم في تعليم اولادهم عن ذي قبل فلا يُطلَب من الحكومة الاَّ تعدَّ لهم مَن يعلِّم اولادهم وهم يدفعون اكثر نفقات الكتاتيب والمدارس فعليها ان تغتنم هذه الفرصة وتزيد رغبة الاهلين رغبةً ولا تعتذر عن قبول تلميذ في مدارسها مهما كانت الاحوال ذاكرةً عهد المغفور لهُ محمَّد علي باشا حين كانت الحكومة تسوق ابناء البلاد الى المدارس قوةً واقتدارًا

ثانيًا ان تعليم الابناء لا يغني عن تعليم البنات ولا يكفي البلاد بل قد ثبت بالاختبار ان تعليمهنَّ امسُّ من تعليم البنين . وهو اصعب مراسًا في هذه البلاد لندرة المعلمات فيها ولاسباب أُخرى ولكن لا مستحيل على اهل السعي . وما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ فعلى الحكومة ان تضاعف سعيها في هذا السبيل وتستعين بكل مَن يمكنها الاستعانة بهم من الاجانب الى ان يتهيأ لها ايجاد المعلمات من بنات البلاد

ثالثًا ان اللغة العربيَّة لم يعد يمكنها ان تجاري اللغات الاوربيَّة ما لم يقم في البلاد جماعة كاعضاء الاكاديميَّة الفرنسويَّة يتولون امر التعريب ووضع المصطلحات العلميَّة وتنقية اللغة من كلِّ وحشي ومهجور وقد ابنَّا قبل الآن ان الاكاديمية الفرنسويَّة قامت ونجحت بتعضيد ملوك فرنسا لها ورجونا ان يكون سمو عباس باشا (وكان وقتئذٍ وليًّا لعهد الخديويَّة المصريَّة) عضدًا لهذا المجمع اللغوي ونعيد الآن التماسنا راجين من سموِّ ان يحلهُ محل النظر ويشد ازر مَن يسعى اليهِ

رابعًا اننا نرى الحكومات الاوربية تجازي المشتغلين بالعلم وتطبيقهِ وترفع مقامهم تنشيطًا لهم وترغيبًا لغيرهم في اقتفاء آثارهم . وقد عهد من الحكومة المصريَّة الكرم الحاتمي والجود البرمكي فعلى مَ لا تشمل بكرمها مَن يدأب نهارهُ وليلهُ على اكتشاف الحقائق او نشر المعارف او تطبيق العلم على العمَل فتقوى عزائم علماء مصر وادبائها وتصير البلاد مقصدًا لارباب العقول واهل القرائح

هذه مطالب نعرضها على مسمولي النعم وفينا الامل الشديد ان عصرهُ سيمتاز على العصور السالفة بترقية العلوم والمعارف وكل اسباب الحضارة كما امتاز عصر المرحوم والدهِ بالغاء المظالم والمغارم ونشر راية العدل والانصاف